Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عما يخالجه من مشاعر غامضة لا يستطيع ان يمثلها في مظهر واضح مرئي كما يمثل الاشياء ، والا يصور ما يحيط بالاشياء من ظلال تضفي عليها ضربا من الغموض الموحي الذي يحرك الرغبة في اماطة اللثام عن حقيقة هذه الاشياء ، والحق انه وجد بين النقاد من ادرك شيئا من هذا القبيل ، فألمح الى أن متعة العقل تكمن في ادراك البعيد ، وكشف الغامض ، ولكن الرأي السائد كان يشترط الوضوح التام في عناصر المحاكاة (التشبيه) .

ويبدو ان ميلهم الى الوضوح كان ناشئاً عن نظرتهم الى الشعر تعبيراً ادبياً عن معنى عقلي ظاهر ، لا عن شعور نفسي باطن ، ومن شأن العقل ان يعمد الى العلاقات بين الاشياء عندما يحاكيها فيوضحها ، اما الشعور فلا سبيل الى محاكاته على نحو واضح مرئي، لانه معقد احياناً ، وغامض غالباً ، والعرب انما ارادت بـ « البيان » اصلا ما يستبين به المعنى ، مما ينم على أن الوضوح امر يتعلق بطبيعة البيان ، وانه لامر ذو دلالة ان يختار الجاحظ لكتابه الشهير عنوان « البيان والتبيين » مشيراً الى غاية الكلام العربي، وطبعا ، من المسلم به أن البيان هو غاية الكلام ، ولكن هذا البيان يتحقق عندما يكون الكلام سليما من حيث نظمه اللغوي ، ودلالته على المعنى ، ولا علاقة للبيان بما قد يكون غامضا او بعيدا من معاني الشاعر اذا سلم نظمه ، سواء أكان هذا الغموض مقصوداً ام غير مقصود ، فربما خطر ببال الشاعر ان يغمض معانيه لكي يكون ادراكها بعد لأي ، اكثر متعة وأشد فتنة وربما كانت هذه المعاني غامضة بذاتها ، من حيث تعبيرها عن شعور معين عاناه الشاعر ، دون أن يعرف كنهه ، ومن ثم فقد يقال : ان البيان هو ما وافق من الكلام في نظمه رسوم اللغة ، وقواعد النحو ، وليس هو ما وافق وضوح الشعور .

ولقد ادرك الجاحظ ان المعاني هي مجلى الافكار ، والمشاعر ، والخواطر ، وانها تكون خفية الا ان يظهرها الاديب ، ولكنه لم يشأ ان يدع للاديب ان